نظـــرات فى الفن

للأستاذ نجم الدين حمودى

الفنان والطبيعة :

علاقة الفنان بالطبيعة علاقة متينة محكمة ، فهى مصدر وحيه وإلهامه ، منها يستق عبقريته ، ومن جمالها يروى أحاسيسه ومشاعره . ومع أن الطبيعة ينبوع الجمال وموطن الروائع ، فهى ليست كل شىء عند الفنان ، كما أنه من العبث أن نشبه الفن بتقليد الطبيعة ، أو محاكاة الجميل فيها ، إذ ليس الفن تقليداً وتشبيها ، وإنما هو تفسير وتحليل وخلق وإبداع . وليس من المبالغة فى شىء أن يقال : يبتدىء الفن عند ما يبتعد الفنان عن التزامه لتقليد الطبيعة .

نعم ، إن الطبيعة مصدر للجمال ولها أعظم الأثر فى عمل الفنان ، إلا أنها — كما ذكرنا سابقاً — ليست كل شىء عنده . فالفنان فى روائعه يضفى على الطبيعة من أعماق نفسه جمالا يزيد من جمالها ، وألواناً من خلقه وإبداعه تكسبها جاذبية وتأثيراً . وإذا كانت السمفونية الربيعية ليبتهوفن قطعة فنية رائعة ، فهى ليست كذلك لكونها تقليداً لأصوات طبيعية ، بل لأن بيتهوفن نفسه استطاع أن يعبر فيها عن إحساسات تفتحت من جراء اتصاله وانتباهه بجمال الطبيعة ، وتغنيه بنغمات أصواتها الجميلة العذبة ، فخرجت تلك الإحساسات ، وتفجر ذلك الشعور إلى عالم الواقع بأصوات موزونة ونغمات منسجمة ، وبهذه النغمات وتلك الأصوات برزت عبقرية الفنان وقوة خلقه وإبداعه ، فجعل من توفيقه بين هذه وتلك قطعة موسيقية رائعة تنوق القلوب لسماعها ، وتروى النفوس من أنغامها وألحانها .

فالابتهاج الذى يثيرنا عند سماعنا السمفونية الربيعية ، والروعة التى برزت بأجلى مظاهرها فى أنغامها المنسجمة الموزونة ، لا يرجعان كلية إلى الطبيعة ، بل إلى عبقرية بيتهوفن وملكته الفنية .

يشير الأديب الفرنسى أندريه جيد فى دراسته للفنان الفرنسى پوسان إلى رأى الكاتب كريستفومارلو عن أثر الطبيعة فى نضوج الفنان فيقول : « تحدث الأستاذ مارلو بأن الباعث على الخلق الفنى فى كل الرسامين لا يتأتى مباشرة من الطبيعة ، وإنما يتأتى من بعض الروائع الفنية التى أنتجها قبلهم عظماء الرسامين الذين حملوا فى روائعهم ما فى الطبيعة من جمال وفتنة وكمال » .

ويعلق الأستاذ أندريه جيد على ذلك بقوله : « لا شك أن جمال العالم الخارجى ومظاهره البديعة الجذابة لا يمكنها أن تترك پوسان دون أن تؤثر فى مشاعره وإحساساته ، بل فى الحقيقة أن اتصاله بالروائع الفنية القديمة هو الذى دعاه إلى أن يدرك قابليته فى الخلق الفنى » .

نقد الفن :

إن تعذر إيجاد مقاييس عامة لمعرفة الحد الذى تبلغه الروائع الفنية من الكمال ، كل حسب نوعه ، هو الذى جعل أمر نقد الفنون الجميلة من الصعوبة بمكان عظيم . ويقول الأستاذ أندريه جيد فى هذا المعنى : « إن نقد الفنون الجميلة من أخطر أنواع الكتابة ، ولم يجد فى هذا الباب إلا النزر القليل من الكتاب »

ومن الممكن حصر الأسباب التى تجعل النجاح فى نقد الفن عسيراً فى ثلاثة أمور :

١ — عدم وجود نماذج مثالية تقاس عليها القطع الفنية .

٢ — اختلاف الأذواق وتباين النزعات فى تقدير القطع الفنية ، ومن النادر أن نجد ناقدين يتفقان على أمر واحد بحذافيره .

٣ — والسبب الثالث ويتفرع من الثانى ، هو صعوبة وجود التجرد التام فى الحكم على القطع الفنية .

وكثيراً ما يصدر النقاد حكمهم على قطع فنية عظيمة دون أن يبرروها الوقت الكافى ، فيكون حكمهم غير دقيق وبعيد عن الحقيقة والواقع . ويذكر الناقد الكبير كلايف بل فى موضوعه « مهلا أيها النقاد » بأن نقاد الفنون على الرغم من

ادعائهم بعدم التسرع فى الحكم على القطع الفنية كثيراً مايقترفون أخطاء جسيمة ويجورون على الفنانين بغير حق .

ويستمر كلايف بل فى بحثه قائلا : « إن بعض القطع من الممكن تذوقها من أول النظرة يوجهها الناقد إليها ، أما البعض الآخر فيستحيل عليه إدراك مواطن الجمال فيها ، واكتشاف الأفكار التى تحملها ، والبواعث التى دعت الفنان أن يجعل قطعته بهذا الشكل دون غيره ما لم يمعن هذا الناقد فى النظر ويتعمق فى التحليل » .

ويدعم الأستاذ كلايف بل مطالعته لهذا الموضوع بأمثلة عديدة لأخطاء جسيمة اقترفها كبار النقاد .

يذكر الأستاذ ماك كول فى كلامه عن نقاد الفنون أن هناك نوعين من هؤلاء : النوع الأول وأحسن كلمة نصفهم بها هى كلمة « مراسلون » ، وهؤلاء لا هم لهم سوى حشو الصحف والمجلات بكلمات فارغة معسولة عن المعارض التى يحضرونها نيابة عن الصحف والمجلات التى يراسلونها ، ومعظم هؤلاء لايملكون المعرفة الكافية التى تؤهلهم لنقد القطع الفنية ، فإذا ما عرضت عليهم قطع ترجع فى طابعها إلى الفن الكلاسيكى القديم ، قالوا : لقد سبق أن صدر الحكم على الفن القديم ، وإن جادلتهم فى معروضات الفن العاصر ، أجابوك بقول : إما ينطوى على عدم الاكتراث ، أو يدل على الإطراء والإمعان فى المديح .

ويقول الأستاذ ماك كول فى هذا : « ليس الفنانون بضاعة يكال لها المديح والإطراء ، أو الذم والافتراء ، من النقاد حسب ما تمليه عليهم أذواقهم وأهواؤهم » .

أما النوع الثانى من النقاد ، فمنهم من يملك معرفة كافية واطلاعاً واسعاً بالفنون ، ولكنهم إلى جانب هذه المؤهلات مدفوعون بعامل التحيز . لهذا فإنهم ممقوتون من الفنانين لافتقارهم إلى النزاهة فى الحكم ، وتراهم يختارون من القطع ما لذ لهم ، ويجعلونها هدفاً لصب سمومهم ، كأنه لا فرق بين القطع الفنية الرائعة والمواد الأولية التافهة .

نجيم الدين محمودى
سكرتير مجلة سومر — بغداد

حيران !

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

حيران فى دنيا الجمال ... نشوان من خمر الخيال
لمن العيون كأنها ... نور يطوف بالظلال ؟
حوراء إن نظرت تخا ... ل بها وليس بها الكلال!
سكرى من الخمر التى ... امنت بأفئدة الرجال
لمن العيون كأنها ... أفق توشح بالجلال ؟
زرقاء تحلم فى عدو ... ، لا يعذبه ملال
كبحيرة مسحورة ... سحرت حواليها الرمال
تسبى القلوب كنظر الآفاق من قمم الجبال
لمن الغدائر حرة ... من كل قيد أو عقال !
يشدو النسيم لها فتر ... قص فى اليمين وفى الشمال
سوداء فى لين الحري ... ر ، ورقة الماء الزلال
لمن الخدود نقية ... كالتبع فى أعلى التلال ؟
قد ضمه وحنا عليـ ... ـه فى خشوع وابتهال
زهر يقبله الندى ... وتضمه ريح الشمال
لمن الثغاء نواضرا ... ريًا بأحلام الليال
شعّت كشمس فى الضحى ... وتقوست مثل الهلال
تدعو الرشيد إلى الضلا ... ل ، وآه من هذا الضلال !
لمن النهود روانياً ... فى كبرياء واختيال ؟
متحفزات للوثو ... ب ، مبادرات للنضال !
تدنو لمن تهوى ، وتبـ ... ـعد عن سواه ، فلا تُنال
لمن الخصور الراقصا ... ت مع الأشعة والظلال ؟
من كل خصر مرهف ... ريان من خمر الدلال
أخشى عليه من النسيـ ... ـم دنا فطوقه فمال
ومن الثلاثة إذ تما ... ثله ، فيثمر بالملال !

أواه لو رويت هـ ... ـذا القلب من خمر الجمال !
أواه ! لكن أعيـ ... ـش كزهرة بين التلال !
أبكى من الحرمان حتى ... صرت أنتظر الزوال
فتن تمر بناظرى ... وبخاطرى منها مثال
فتن حرمت وسالما ... وأنا الشوق إلى الوصال
علقت بها نفسى كما ... علقت بأطياف الخيال !
فتن أمانيها وآ ... مالى ، وأحلامى ... ولكن ... فى الخيال!